خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٢٧

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

كما ذكرت في الخطبة الماضية أن سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه أيضا ذكر الظروف التي واجهها المسلمون في غزوة الأحزاب، وأقدم لكم تفصيل ذلك، يقول حضرته:

لما كان جزء كبير من المدينة محمياً بالخندق، وفي الجانب الآخر كانت بعض التلال الصخرية، وبعض المنازل، وعدد من البساتين وغير ذلك، لذا لم يكن بإمكان الجيش شن هجوم مفاجئ. لذا قد اقترح الكفار بعد التشاور، أن يسعوا بطريقة ما لإقناع القبيلة اليهودية الثالثة التي كانت لا تزال في المدينة، وتسمى بنو قريظة، بالانضمام إليهم، وبذلك يفتحوا طريقًا للوصول إلى المدينة. فبعد التشاور، عيَّن أبو سفيان، قائدُ جيش الكفار، حييَ بن أخطب، زعيمَ بني النضير المنفيين، والذي كان بسبب مؤامراته قد اجتمع العرب كلُّهم لمهاجمة المدينة، على مهمة ضمّ بني قريظة إلى جانبهم بأي طريقة ممكنة. فذهب حيي بن أخطب إلى حصون اليهود وطلب مقابلة زعماء بني قريظة. فرفضوا مقابلته أول الأمر، ولكن عندما أوضح لهم أن كل العرب قد جاءوا في هذا الوقت للقضاء على المسلمين، وأن هذه القرية لا يمكنها بأي حال من الأحوال مواجهة كل العرب، وأن الجيش الذي يواجه المسلمين الآن ليس جيشًا بل ينبغي أن يسمى بحرا مواجا، فبهذه الكلمات نجح في النهاية في إقناع بني قريظة بالخيانة ونقض المعاهدة، وتقرر أن يحاول جيش الكفار عبور الخندق من الجهة الأمامية، وعندما ينجحون في عبور الخندق، سيهاجم بنو قريظة ذلك الجزء من المدينة حيث النساء والأطفال من الجانب الآخر للمدينة، وكانوا قد تُركوا دون حماية ثقةً ببني قريظة، وبهذه الطريقة ستُسحق قوة المسلمين للمقاومة تمامًا، وسيُقتل الرجال والنساء والأطفال المسلمون جميعًا في لحظة واحدة. ومن المؤكد أنه لو نجح الكفار في هذه الخطة ولو بشكل جزئي، لما بقي للمسلمين أي مكان آمن.

كان بنو قريظة حلفاء المسلمين، وحتى لو لم يشاركوا في حرب مفتوحة، كان المسلمون يأملون أنه لن يهاجم أحد المدينة من جهتهم. ولهذا السبب، تُرك الجزء الذي من جهتهم دون حماية تمامًا. وكان بنو قريظة والكفار أيضا قد قرروا نظرا لهذا الوضع ألا يساعد بنو قريظة الكفارَ علنًا بعد انضمامهم إليهم، حتى لا يتخذ المسلمون أي تدبير لحماية ذلك الجانب من المدينة الذي كان متصلا بحي بني قريظة، أي حتى لا يخطرنَّ ببال المسلمين أنه يمكن الهجوم عليهم من طرفهم، فقد قاموا بمكيدة وخبث. كانت هذه الخطة خطيرة للغاية. إن انضمام بني قريظة إلى العدو في غفلة المسلمين عن ذلك، في وقت كان فيه جيش الكفار يشن هجومًا عنيفًا على الجيش الإسلامي، قد جعل من المستحيل تمامًا حماية ذلك الجانب من المدينة حيث كانت حصون بني قريظة.

ولم تكن حماية ذلك الجانب قد جُعلت بذلك مستحيلة فحسب بل كان قد تفاقم خطر الهجوم على المسلمين من ذلك الجانب. باختصار كان قلق المسلمين في تلك الأوضاع طبيعيا، وكان من الضروري أن تبذل الجهود لإزالته، لذا قرر النبي ﷺ تعيين خمسمئة فرد لحماية المدينة، ولقد بين مؤلفو السيرة تفصيل ذلك، قائلين:

عندما وصلتْ إلى المسلمين أخبار نقض بني قريظة للعهد، زاد خوفهم وبدأوا يقلقون على النساء والأطفال. وأصبحت حالة المسلمين كما وصفها الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوْكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوْبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّوْنَ بِاللهِ الظُّنُوْنَا﴾ (الأحزاب: ١١)

كان رسول الله ﷺ والمسلمون في مواجهة العدو، فما كانوا يستطيعون التحرك من هناك، وكانوا يتناوبون على حراسة الخندق في أماكن مختلفة. وذكر كُتاب السيرة ثمانية مواقع للخندق التي كانت عليها الحراسة، وعُيّن حضرة الزبير بن العوام ﷺ مشرفًا على كل هذه المواقع.

ولما كان بنو قريظة قد انضموا إلى القبائل المحاصرة بعد نقضهم المعاهدة، وبدأت تنتشر الأخبار أنهم على وشك مهاجمة المدينة في أي وقت، ووصلتْ إلى النبي ﷺ أيضا، أرسل سلمةَ بن أسلم ﷺ مع مئتي رجل وزيدَ بن حارثة ﷺ مع ثلاثمئة رجل لحماية المدينة. وأمرهم أن يحرسوا في أماكن مختلفة أثناء الليل ويظلوا يكبّرون من وقت لآخر.

لقد كتب حضرة الصاحبزاده ميرزا بشير أحمد صاحب ﷺ:

"في ذلك الوقت، كان أفق المدينة مظلمًا جدًّا من حيث الأسباب الظاهرية. إذ كان آلاف الأعداء المفترسين مخيمين حول المدينة من الجهات الأربع، وكانوا يترقبون أي فرصة للهجوم على المسلمين وسحْقهم. وكان بنو قريظة الخونة في كنف المسلمين داخل المدينة، وكان مئات من شبابهم المسلحين لا يقلّون في حد ذاتهم عن جيش جريء، وكان بإمكانهم الهجوم على المسلمين من الخلف في أي وقت يشاؤون أو عندما تسنح لهم الفرصة. وكانت النساء والأطفال المسلمون في المدينة في الواقع فريسة

سهلة لهم في كل لحظة. هذا الوضع، الذي لا يمكن إخفاء حقيقته عن أي شخص عاقل، خلق قلقا وذعرًا شديدين بين ضعاف المسلمين، أما المنافقون فبدأوا يقولون علنا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُه إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب: ١٣) وبدأ بعض المنافقين يأتون إلى النبي ﷺ ويقولون: "يا رسول الله! إن بيوتنا في المدينة غير محفوظة تمامًا، فهل تسمح لنا بالبقاء في بيوتنا لحمايتها؟" وردًّا على ذلك، نزل الوحي الإلهي: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: ١٤) أي من الباطل أن هؤلاء قلقون بشأن عدم حماية منازلهم، بل الحقيقة أنهم يبحثون عن طريقة للهروب من ساحة المعركة. لكن في الوقت نفسه كان هذا الموقف لإظهار إيمان المسلمين المخلصين. فقد قال القرآن: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوْا هٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُه وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُه وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)

لكن الجميع كانوا يدركون على حد سواء حساسية الموقف والجوانب الخطيرة للأوضاع. كما يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب: ١١)

كان ذلك الوقت حقًّا وقتَ اختبار شديد للمؤمنين، وكان زلزالٌ شديدٌ قد حل بالمسلمين.

في مثل هذا الوقت الخطير، متى كان بإمكان فئة قليلة من المسلمين، الذين كان من بينهم بعض ضعاف النفوس وبعض المنافقين أيضا، أن يصمدوا؟ إذ لم يكن يتوفر لهم ما يكفي من الرجال لحراسة كافية في المواقع الضعيفة. فكانت الأعمال الشاقَّة ليلًا ونهارًا قد أنهكت المسلمين.

ومن الطرف الآخر، كان تعزيز الحراسة في شوارع المدينة وأزقتها أيضًا ضروريا لحماية النساء والأطفال بسبب خيانة بني قريظة.

كان جنود الكفار يحاولون إزعاج المسلمين بكل الطرق. أحيانًا كانوا يتجمعون عند نقطة ضعيفة ليهاجموا من هناك، وعندما كان المسلمون يتجمعون لحمايتها، كانوا يغيرون اتجاههم فجأة ويركزون على موقع آخر، والمسلمون المساكين كانوا يركضون إلى هناك. وأحيانًا كانوا يهاجمون عدة أماكن في وقت واحد، مما أدى إلى تشتت جماعة المسلمين وتقسيمها إلى أجزاء، وفي بعض الأحيان كانت الأوضاع تصبح حرجة للغاية وكان من الممكن أن يستغل جيش الكفار أي نقطة ضعف ويدخل حدود المدينة. كان المسلمون يواجهون هذه الهجمات عادة بالسهام، ولكن في بعض الأحيان كان جنود الكفار يتبعون هذه الطريقة أن فرقة تُبقي المسلمين في الخلف بوابل من السهام، بينما تهاجم فرقةٌ أخرى وتحاول اقتحام جزء ضعيف من الخندق والقفز عبره. استمر هذا الأسلوب من القتال من الصباح حتى المساء، وأحيانًا حتى في أجزاء من الليل.

نجد في التاريخ أن رسول الله ﷺ سأل الصحابة ولا سيما الأنصار عن التصالح مع غطفان، وكتب حضرة ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه في هذا الصدد:

كانت هذه الأيام أيام شدة ومحنة وخطر عظيم على المسلمين، وكلما طال الحصار كان من المحتم أن تخور مقاومة المسلمين. ورغم أن قلوبهم كانت مليئة بالإيمان والإخلاص، إلا أن أجسادهم، التي تخضع لقانون الأسباب المادية، كانت تضمحل. عندما رأى النبي ﷺ هذه الظروف، طلب سيدَي الأنصار سعدَ بن معاذ وسعدَ بن عبادة، وأطلعهما على الوضع بأكمله وطلب مشورتهما حول ما يجب فعلُه في هذه الظروف. وفي الوقت نفسه، اقترح من جانبه أنه إذا أرادا، فيمكن تجنب هذه الحرب بإعطاء قبيلة غطفان جزءًا من محاصيل المدينة. أجاب سعد بن معاذ وسعد بن عبادة كلاهما بصوت واحد: "يا رسول الله! إذا كان قد نزل عليك وحيٌ من الله في هذا الأمر، فننقاد لك. ويمكنك بالتأكيد المضي قدمًا وفقًا لهذا الاقتراح بكل سرور." فقال النبي ﷺ: "لا، لم أتلق أي وحي في هذا الأمر. إنما سألتكم استشارةً نظرا لمعاناتكم." أجاب السعدين: "إذنْ رأْيُنا هو أننا لم نعط أي عدو شيئًا في زمن الشرك، فلماذا نعطي الآن ونحن مسلمون؟ والله لن نعطيهم إلا حد السيف." فلا بد من الحرب. ولما كان النبي ﷺ قلقًا بشأن الأنصار، فقط، الذين كانوا هم السكانَ الأصليين للمدينة، وربما كان الغرض من هذه الاستشارة أن يعرف ما يجول بخاطر الأنصار، وما إذا كانوا متضايقين من هذه المصائب، فيواسيهم إذا كانوا كذلك. لذا قد قَبل رأيهما بكل سرور واستمرت الحرب. وصحيح أن الخندق كما ذُكر سابقًا كان بمثابة جدار دفاعي قوي، لكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن المسلمين كانوا آمنين ومحفوظين تمامًا.

أولًا، كان المنافقون، وخاصة بنو قريظة المحاربين، موجودين داخل المدينة نفسها. وبعد نقض العهد، أصبحوا خطرا كبيرا. من ناحية أخرى، كانت هناك بعض الأماكن حول الخندق حيث كان هناك خطر من هجمات العدو، وكان هناك احتمال أن يعبر العدو الخندق من هذه الأماكن ويدخل المدينة. في ضوء هذا الوضع المقلق، كانت هناك حراسة مستمرة في أماكن متعددة، وكان النبي ﷺ نفسه حاضرًا شخصيًا في هذه الحراسة. كان النبي ﷺ يقوم بالمراقبة بنفسه ويشجع الصحابة، وكان هذا العمل كله مستمرًا خلال النهار والليل. وكانت ليالي المدينة حينها ليالي باردة جدًّا، بالإضافة إلى صعوبات الجوع. تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يذهب للحراسة حتى شق الخندق، وعندما كان يشعر بالبرد، كان يأتي إليَّ، وعندما كان جسمه يدفأ، كان يعود إلى شق الخندق. وكان يقول: "أخشى أن يأتي الناس من هذا الجانب." وقالت: كان النبي ﷺ في أحد الأيام يستريح بهذه الطريقة وكان متعبًا جدًّا فقال: ليت رجلًا صالحًا يحرس هذا المكان الليلة. فسمع صوت الأسلحة. سأل رسول

الله ﷺ: من هذا؟ فقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله! أنا سعد، جئت لأحرسك. فقال: اذهب إلى المكان الفلاني، هناك جزء ضعيف من الخندق، احرس هناك.

كان للصحابة المخلصين للنبي ﷺ شأن عجيب من العشق والوفاء له، والنبي ﷺ كان يفضّلهم جميعًا على نفسه. كان ﷺ شجاعًا لدرجة أنه لم يكن يهتم بحياته، بل كان قلقًا على أهل المدينة. ولهذا كان غالبًا ما يكون حاضرًا في أماكن مختلفة، وحتى عندما كان يأتي إلى الخيمة للراحة ظاهريا، كان يُرَى في معظم الوقت ساجدًا أمام الله، يدعو.

تروي السيدة أم سلمة رضي الله عنها: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق وكنا في برد شديد. رأيت ليلة أنه قام وصلى في خيمته ما شاء. تعني أطال في الصلاة قدر الإمكان، ثم خرج من الخيمة ونظر لفترة قصيرة، ثم سمعتُه يقول: هؤلاء فرسان المشركين يحاولون عبور الخندق، ثم نادى عَبّاد بن بِشر. فقال: لبيك. سأل النبي ﷺ: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي بعض رفاقي. ونحن نحرس حول خيمتك. قال النبي ﷺ: خذ رفاقك وقم بدورية حول الخندق. إن فرسان المشركين يدورون حول الخندق، ويرغبون في مهاجمتكم على حين غرة. اللَّهُمَّ فَادْفَعْ عَنَّا شَرَّهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَاغْلِبْهُمْ، فَلَا يَغْلِبُهُمْ أَحَدٌ غَيْرُكَ. ذهب عباد مع رفاقه، وكان أبو سفيان بن حرب يدور مع رفاقه حول الجزء الضيق من الخندق. عندما اكتشف المسلمون وجودهم، بدأوا في رميهم بالحجارة والسهام، مما جعلهم يعودون إلى مواقعهم. أي رجع العدو. يروي عَبَّاد: عُدْتُ إلى خدمة رسول الله ﷺ ورأيته يصلي، فأخبرته بالأمر. تقول أم سلمة رضي الله عنها: رحم الله عَبّاد بنَ بِشْر. كان من أكثر الصحابة ملازمة لخيمة رسول الله ﷺ. كان دائمًا يحرسه. (سبل الهدى والرشاد)

يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه:

"كانت شجاعة الرسول الكريم ﷺ وحرصه على المسلمين بحيث كان يقوم في الليل في البرد ويذهب إلى ذلك المكان ويحرسه. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها أنه كان يتعب من الحراسة ويصاب بالإرهاق من البرد، فيعود ويستلقي معي تحت اللحاف لفترة قصيرة، ولكن بمجرد أن يدفأ جسمه، كان يعود لحراسة ذلك الشق. بسبب السهر المتواصل بهذه الطريقة، أصبح متعبًا تمامًا في أحد الأيام وقال في الليل: ليت هناك مسلمًا مخلصًا الآن حتى أتمكن من النوم براحة. في تلك اللحظة، جاء صوت سعد بن وقاص رضي الله عنه من الخارج. سأل النبي ﷺ: لماذا جئت؟ قال: لحراستك. قال النبي ﷺ: لا أحتاج إلى حراسة. اذهب إلى المكان الفلاني حيث انكسر جانب الخندق واحرسه حتى يبقى المسلمون آمنين. فذهب سعد لحراسة ذلك المكان ونام النبي ﷺ.

وورد في مكان هذا التوضيح أنه من الغريب أنه عندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة في البداية وكان الخطر كبيرًا جدًّا، جاء سعد للحراسة حينها أيضًا. في هذه الأيام نفسها، سمع النبي ﷺ يومًا صوت أسلحة

بعض الناس وسأل: من هذا؟ فقال عباد بن بشير: أنا. (كتب حضرة المصلح الموعود ﷺ: "عباد بن بشير"، ولذلك مكتوبٌ هذا الاسم في المجلد العشرين من "أنوار العلوم" كـ "عباد بن بشير"، وهو خطأ كتابي على أي حال، وكُتب في أنوار العلوم مرجعُ هذا النص "السيرة الحلبية"، وفي "السيرة الحلبية" كُتب اسمه "عباد بن بشر". أوضح هذا لأن بعض الناس يكتبون لي لاحقًا قائلين: "في مكان كذا كُتب هكذا، وأنت قلت هذا، فما هو الصحيح؟" على أي حال، الاسم الصحيح هو "عباد بن بِشر"، والذي ربما كُتب "بشير" خطأً. إنه إما خطأ كتابي أو أن حضرة المصلح الموعود ﷺ قد قاله خطأً.) قال النبي ﷺ: هل معك أحد آخر؟ قالوا: هناك جماعة من الصحابة جاءت لحراسة خيمتك. قال النبي ﷺ: في هذا الوقت يحاول المشركون عبور الخندق. اذهبوا هناك وواجهوهم ودعوا خيمتي". (ديباجة تفسير القرآن، أنوار العلوم المجلد ٢٠ صفحة ٢٧٩)

هناك واقعةٌ تدل على شجاعة السيدة صفية رضي الله عنها في أثناء هذه المعركة. ورد في تفصيله أنه كانت أزواج النبي ﷺ المطهرات، وعمته السيدة صفية بنت عبد المطلب مع نساء أخريات في حصن يسمى فَارِعْ. (أي كانت أزواج النبي ﷺ وعمته وقريباته والنساء الأخريات هناك) وكان حسان بن ثابت ﷺ مسؤولًا عن حراسته. عندما أعلن بنو قريظة نقض العهد، بدأ يهود المنطقة أيضًا بمحاولات لإلحاق الضرر بالمسلمين بطريقة أو بأخرى. تروي السيدة صفية رضي الله عنها عمة النبي ﷺ أنه في إحدى المرات جاء عشرة يهود وبدأوا يطوفون حول حصننا، كما لو كانوا يبحثون عن فرصة للدخول. في هذه الأثناء، اقترب أحد اليهود من جدار الحصن، وكنت أراقبه. فقلت لحسان: "يا حسان، انزل وواجه هذا اليهودي". فقال: "يا بنت عبد المطلب، والله إنك لتعلمين أني لست رجلًا لذلك. لو كان لدي هذه الشجاعة لذهبت مع رسول الله ﷺ". تقول السيدة صفية رضي الله عنها: عندما قال حسان ذلك، أخذت عمودًا من هناك، ونزلت من الحصن وضربت رأسه بالعمود بقوة حتى شققت رأسه، فسقط في مكانه. عدت وقلت لحسان: "انزل وخذ ما معه من متاع كغنيمة". فقال حسان: "يا بنت عبد المطلب، لا أحتاج إلى متاعه". فقلت: "اقطع رأسه وارمِ به على اليهود لكي يخافوا ولا يعودوا إلى هنا". فقال حسان: "ليس لدي الشجاعة لذلك". فقطعت صفية رأسه ورمت به نحو اليهود. فخاف اليهود وقالوا: "كنا نعلم أن محمدًا ﷺ لا يترك النساء وحدهن. بالتأكيد هناك حراس معهن". وفروا من هناك. عندما أُخبر رسول الله ﷺ بذلك، خصص للسيدة صفية رضي الله عنها نصيبًا من الغنيمة كما يُخصص للرجال. (سبل الهدى والرشاد)

يقول حضرة ميرزا بشير أحمد ﷺ في "سيرة خاتم النبيين ﷺ" وهو يذكر هذه الواقعة:

"كان حال النساء والأطفال في المدينة أن النبي ﷺ جمعهم عمومًا في جزء خاص من المدينة كان يشبه الحصن. لكن لم يكن هناك ما يكفي من المسلمين لحمايتهم بشكل كافٍ، خاصة في الأوقات التي

كان فيها ضغط هجمات العدو أشد في ساحة المعركة، حيث كانت النساء والأطفال المسلمون يبقون تقريبًا في حالة غير آمنة تمامًا، ولم يبق لحمايتهم سوى الرجال الذين لم يكونوا قادرين على القتال في الميدان لسبب ما. لذلك، استغل اليهود فرصة مماثلة وخططوا للهجوم على ذلك الجزء من المدينة حيث تجمعت النساء والأطفال، وأرسلوا أحد رجالهم للتجسس. في ذلك الوقت، كان الصحابي حسان بن ثابت الشاعر هو الوحيد الموجود بالقرب من النساء، والذي لم يكن قادرًا على الذهاب إلى ساحة المعركة بسبب ضعف قلبه غير العادي. عندما رأت النساء هذا اليهودي العدو يدور حول مكان إقامتهن بطريقة مشبوهة، قالت صفية بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ، لحسان: هذا الرجل يهودي معادٍ ويدور هنا للتجسس والشر، أُقتله حتى لا يعود ويسبب فتنة. لكن حسان لم يجرؤ على ذلك، فخرجت السيدة صفية بنفسها لمواجهة هذا اليهودي وقتلته. ثم اقترحت قطع رأس هذا الجاسوس اليهودي وإلقاءه في الجانب من الحصن حيث تجمع اليهود، حتى لا يجرؤ اليهود على مهاجمة النساء المسلمات ويعتقدوا أن هناك رجالًا كافين لحمايتهن. وقد نجحت هذه الخطة، وتراجع اليهود مرعوبين في تلك المناسبة. (سيرة خاتم النبيين ﷺ)

وقد ذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ أيضا هذه القصة قائلا:

كان بنو قريظة يتحينون الفرصة للتسلل إلى المدينة وقتل النساء والأطفال دون إثارة شكوك المسلمين. وفي أحد الأيام، أرسل بنو قريظة جاسوسًا ليتحقق ما إذا كانت النساء والأطفال وحدهم أم أن هناك عددًا كافيًا من الجنود لحمايتهم. بدأ الجاسوس يحوم حول المنطقة المحصّنة التي جُمعت فيها العائلات الأكثر عرضة للخطر. بدأ الجاسوس ينظر في جميع الاتجاهات ليتأكد من عدم وجود جنود مسلمين مختبئين في الجوار. بينما كان لا يزال يستكشف الموضوع، رأته عمة الرسول ﷺ، السيدة صفية رضي الله عنها. وصادف أن رجلًا مسلمًا واحدًا فقط كان موجودًا هناك في ذلك الوقت، وكان مريضًا. قالت السيدة صفية للرجل المسلم أن هذا الشخص يتجول في منطقة النساء منذ فترة ولا يكاد يغادر، وينظر في كل الاتجاهات، لذا فهو جاسوس بالتأكيد، وطلبت من المسلم مواجهته حتى لا يتمكن العدو من معرفة الوضع بالكامل والهجوم. رفض الصحابي المريضُ القيام بذلك. فأخذت السيدة صفية عصا كبيرة وواجهت الرجل بنفسها، ونجحت في قتله بمساعدة النساء الأخريات.

في النهاية، تبين بعد البحث أنه كان يهوديًّا وجاسوسًا لبني قريظة. عندها أصبح المسلمون أكثر قلقًا وأدركوا أن هذا الجانب من المدينة لم يعد آمنًا، وكان الضغط من جانب العدو كبيرًا لدرجة أنهم لم يتمكنوا من توفير أي حماية لهذا الجانب. ومع ذلك، اعتبر رسول الله ﷺ حماية النساء أولوية وخصص خمسمائة جندي من أصل ألف ومائتي جندي لحماية النساء في المدينة، تاركًا سبعمائة جندي لحماية الخندق ومواجهة جيش يتراوح بين ثمانية عشر وعشرين ألف جندي.

(مقدمة تفسير القرآن، أنوار العلوم المجلد ٢٠ الصفحة ٢٧٤-٢٧٥)

وقد ورد ذكر قتلِ عليٍّ ﷺ عمروَ بن عبد ود العامري وبيانه أنه عندما حاصر جيش الكفار المدينة، اتفق قادتهم على شن هجوم معا في آن واحد. بدأوا في البحث عن مكان ضيق في الخندق حيث يمكنهم إرسال فرسانهم للوصول إلى النبي ﷺ وأصحابه. فوصلوا إلى نقطة ضيقة أخيرا غفل عنها المسلمون، فعبر عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ود الخندق من هذا المكان. كان عمرو بن عبد ود شجاعا لدرجة كان يُعَدّ مساويًا لألف رجل في العرب. كان قد أصيب بجروح في معركة بدر ولم يتمكن من المشاركة في معركة أُحد بسبب جراحه. وكان قد أقسم ألا يدهن رأسه بالزيت حتى يقتل محمدًا ﷺ (والعياذ بالله). فنادى بصوت ملؤه الكبر والغطرسة: يا من ترغبون في الجنة! تعالوا لأرسلكم إلى الجنة (قال ذلك بعد عبوره الخندق)، أو أرسلوني إلى جهنم. عندما لم يبرز أحد لمواجهته، أراد سيدنا علي ﷺ أن ينهض، لكن الرسول ﷺ أجلسه قائلًا: يا علي! إنه عمرو بن عبد ود. وعندما نادى للمرة الثانية أو الثالثة، نهض عليٌّ ﷺ. وضع النبي ﷺ عمامته على رأس عليٍّ وأعطاه سيفه، وأرسله للمبارزة داعيا له.

تقدم عليّ ﷺ وقال لعمرو: سمعتُ أنك عاهدتَ أنك إذا طلب منك رجل من قريش أمرين، فستوافق على أحدهما. قال عمرو: نعم. قال علي ﷺ: فأولاً، أدعوك للإسلام والإيمان برسول الله ﷺ لتنال نِعم الله. رفض عمرو ذلك. فقال علي ﷺ: إن لم تقبل هذا، فكن مستعدًّا للقتال معي. ضحك عمرو وقال: لم أكن أعتقد أن أحدًا يمكنه أن يقول لي هذه الكلمات. ثم سأل عن اسم علي ﷺ ونسبه. وعندما أخبره، قال: كان والدك صديقي، لذا اذهب وأرسل شخصًا أكبر. يا ابن أخي! أنت ما زلتَ صغيرًا، ولا أريد إراقة دمك. قال علي ﷺ: لا ترغب في إراقة دمي، لكنني لن أتردد في إراقة دمك.

غضب عمرو وقفز من على حصانه وقطع ساقيه وألقاه أرضًا. ثم اندفع نحو علي ﷺ كشعلة نار وضربه بسيفه بقوة شديدة حتى قطع درعه وأصاب جبهته، مسببًا له بعض الجروح. وفي الوقت نفسه هتف علي ﷺ: الله أكبر، وضربه بسيفه بقوة بذل عمرو قصارى جهده لتفاديه. أصاب سيف علي ﷺ كتفه وقطعه حتى وصلت إلى الأسفل، فسقط عمرو وظل يتمرغ على الأرض حتى فارق الحياة. (وقد ذُكر في بعض الروايات، أنه أُعطي ثلاث خيارات، الأول: أن يعود (أي قد أعطاه علي ﷺ هذا الخيار أيضا من بين الخيارات الأخرى لكنه قال: هذا لا يمكن، والخيار الثاني المطروح كان: أسلِم، والخيار الثالث: فاخرُج للمبارزة)

عندما قُتل عمرو، فر رفاقه الباقون على خيولهم مذعورين. طاردهم الزبيرُ ﷺ وقتل نوفلَ بن عبدَ الله. وضرب هبيرة بن أبي وهب – وهو زوج أم هانئ، أخت الإمام علي ﷺ– بالسيف ضربة قطعت عظم ترقوة حصانه. وفي رواية أخرى، بعد مقتل عمرو، هاجم هبيرة وضرار بن الخطاب عليًّا ﷺ، لكنهما

فرا عندما قام علي ﷺ بهجوم مضاد، بل فرّ هبيرة تاركًا درعه مع أنه كان يُعَدّ أفضل فارس في قريش. وفي رواية أخرى، عندما فرّ ضرار بن الخطاب– وهو أخو عمر بن الخطاب– طارده عمر ﷺ. ثم توقف ضرار فجأة وكان على وشك شن الهجوم على عمر ﷺ برمحه، لكنه لم يفعل وقال مخاطبًا عمر ﷺ: يا عمر! تذكّر منّتي هذه عليك أنني لم أهاجمك. وقد ورد أن عمر ﷺ أيضا ذكّره بمنة مماثلة. (لم تكن هناك منة لضرار بل الله تعالى منّ عليه). ولعل دعاء عمر ﷺ جعلت ضرارا يعتنق الإسلام في النهاية عند فتح مكة، ثم شارك في الحروب الإسلامية بحماس وأظهر شجاعة كبيرة وقُتل في معركة اليمامة. ويرى البعض أنه لم يُقتل بل عاش لفترة طويلة وتوفي على الإسلام.

بعد مقتل عمرو بن عبد ود، أرسل الكفار رسالة إلى رسول الله ﷺ عرضوا فيها استرداد جثته مقابل عشرة آلاف درهم، فقال ﷺ: "خذوه، نحن لا نأكل ثمن الموتى".

وبحسب بعض الروايات، قُتل نوفل بن عبد الله في مناسبة أخرى. وبيان ذلك أنه ركب في أحد الأيام حصانه محاولًا القفز فوق الخندق، لكن الحصان لم يتمكن من عبور الخندق وسقط فيه مع راكبه وهكذا أهلكه الله تعالى إذ قد انكسر عظم رقبته عند السقوط.

أرسل المشركون وفدًا لاسترداد جثته وعرضوا الدية على النبي ﷺ فقال: لسنا بحاجة إلى ديته، ولا نمنعكم من دفنه.

وقد ذكر سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضاحادثة مقتل نوفل كما يلي:

كان العدو يهاجم الخندق، وفي بعض الأحيان نجح أيضا في عبوره. ففي أحد الأيام نجح بعض كبار قادة الكفار في عبور الخندق والوصول إلى الجانب الآخر. لكن المسلمين شنوا هجومًا عنيفًا لدرجة أنه لم يعُد أمام الكفار خيار سوى العودة. وفي ذلك الوقت، قُتل أحد كبار زعماء الكفار يُدعى نوفل أثناء محاولته عبور الخندق. كان نوفل زعيمًا كبيرًا لدرجة أن الكفار اعتقدوا أنه إذا هُتكت جثته، فسنواجة ذلة لدرجة لن نكون قادرين لنواجه أحدا من العرب. فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسالة قالوا فيها إنهم مستعدون لدفع عشرة آلاف درهم مقابل تسليم جثته إليهم. كان ببالهم أنه كما قطعوا هم أنوف زعماء المسلمين وآذانهم حتى مثّلوا بعم رسول الله ﷺ في معركة أحد، سيقوم المسلمون اليوم بقطع أنف زعيمهم هذا وأذنيه إهانة لقومه. لكن أحكام الإسلام مختلفة تمامًا. الإسلام لا يسمح بالإساءة للجثث. فعندما وصلت رسالة الكفار إلى النبي ﷺ، قال: ما حاجتنا لهذه الجثة؟ ما فائدة هذه الجثة حتى نأخذ منكم ثمنا لها.

على أية حال، سيستمر ذكر تفاصيل هذه الأحداث مستقبلا أيضا بإذن الله.

في هذا الأسبوع يبدأ بمشيئة الله اجتماع لجنة إماء الله ومجلس أنصار الله، فأقول لعضوات لجنة إماء الله وأعضاء مجلس أنصار الله، كما قلت من قبل لأعضاء مجلس خدام الأحمدية، أن يقضوا أوقاتهم في

الدعاء في هذه الأيام بوجه خاص، ويتنبّهوا إلى الصلاة على النبي ﷺ، وأن يسعوا جاهدين لتحقيق الهدف من الاجتماع، ولا يقضوا أوقاتهم في برامج ترفيهية أو في تبادل الأحاديث، وفقكم الله جميعا لذلك وجعل هذين الاجتماعين مباركين من كل النواحي.